عندما يكرّم المغرب الشيخ زايد

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس تكريم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في إطار "موسم أصيلة الثقافي الدولي الـ42" سوى تعبير عن أصالة أصيلة المدينة المغربية الصغيرة الواقعة على المحيط الأطلسي. كعادته، أظهر محمد بن عيسى رئيس بلدية المدينة، الأمين العام لـ"مؤسسة منتدى أصيلة"، تلك القدرة على إعطاء زخم جديد لهذا الحدث الثقافي والسياسي في نسخته الجديدة طراز 2021. لم تتمكن السنوات الطويلة من أصيلة ولا من قدرة محمّد بن عيسى، وهو وزير سابق للخارجية في المغرب، على العطاء والتجدّد.

في الواقع، لم يكن مستغربا تكريم الشيخ زايد في المغرب بصفة كونه زعيما عربيّا استثنائيا استطاع تحقيق التجربة الوحدويّة الوحيدة الناجحة في العالم العربي في حين فشلت كلّ التجارب الأخرى، بما في ذلك الوحدة المصريّة – السوريّة بين 1958 و1961. فشلت تلك الوحدة نظرا إلى أنّها لم تكن سوى خطوة عشوائية كرست قيام نظام أمني في سوريا. قضى هذا النظام تدريجا على سوريا وصولا إلى ما آلت إليه بعد حرب أهلية مستمرّة منذ أحد عشر عاما في ظلّ نظام أقلّوي لا شرعيّة له وفي ظل خمسة احتلالات...

في مداخلته التي افتتح بها الندوة المخصصة لتكريم مؤسّس دولة الإمارات العربيّة المتحدة تحت عنوان "الشيخ زايد: رؤية القائد المتبصر"، كانت لافتة إشارة محمد بن عيسى إلى العلاقة بين المغرب ودولة الإمارات، كما كانت لافتة إشارة مشاركين في الندوة إلى أن الإمارات دعمت منذ البداية حقّ المغرب في استعادة صحرائه من الاستعمار الإسباني فوقفت مع "المسيرة الخضراء" في العام 1975. قال الأمين العام لـ"مؤسسة منتدى أصيلة" كل ما يجب قوله. جاء في كلمته "نحن سعداء في المملكة المغربية، قبل أصيلة، أن أتيحت لنا الظروف وتوفرت الأسباب، كي تنعقد هذه الندوة، بالمستوى الذي حرصنا عليه، وإن تأجلت عن موعدها بسبب الجائحة (جائحة كورونا). الحقيقة أن بلادنا، مدينة بالأيادي البيضاء الكثيرة للشيخ زايد: بكرمه ومؤازرته للمملكة المغربية وشعبها، في ظروف الشدة التي فرضها علينا الجوار الجاحد. ولا ينسى المغاربة، بكلّ مستوياتهم، زيارات سموه المتكررة، لبلادنا وفترات إقاماته الممددة بين ظهران أشقائه، يحل بها بدعوات ملحة ومفتوحة بإخلاص من لدن شقيقه جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراهما. لا تغيب عن الذهن صور الود والتجانس اللذين ربطا بين الزعيمين الحكيمين إلى بعضهما، متّحدين من أجل الخير والسلام ورفعة الأمة العربية والإسلامية".

الأرقام تتكلم عن نفسها وعن النجاح الإماراتي الذي وضع أسسه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. من بين ما تقوله الأرقام إنّ اقتصاد الإمارات من بين أهمّ ثلاثين اقتصادا في العالم

لدى الحديث عن الشيخ زايد وأهميته، خصوصا مع اقتراب الذكرى الخمسين لقيام دولة الإمارات، يحتار المرء من أين يبدأ. هل يبدأ من حيث بدأ منظمو الندوة في تطرقهم إلى "الحس الاستراتيجي البعيد النظر الذي مكن هذا القائد الفذّ من بناء أوّل وأهمّ تجربة اندماجية عربيّة على أساس التوافق ووحدة المصير والمصالح"... أو "من الدور المؤثّر والفاعل الذي لعبه الشيخ زايد في بناء المنظومة الخليجيّة وفي تدعيم اللحمة العربيّة والسعي إلى تمتين التضامن العربي والدفاع عن القضايا العربيّة العادلة في المحافل الدوليّة". لا يمكن تجاهل أنّ الشيخ زايد لعب الدور الأساسي في قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربيّة في أيّار – مايو من العام 1981.

ثمة زوايا لا تحصى يمكن الانطلاق منها لإبراز أهمّية الشيخ زايد الذي "رعى المشروع التحديثي النهضوي وأنجزه في الإمارات بالارتكاز على ثلاثة أسس كبرى هي بناء الإنسان وتأهيله لدوره في المجتمع من خلال التعليم الرصين والإعداد السليم والتربية الهادفة وإنشاء بنية تحتية متكاملة وقويّة من شأنها أن تكون قاعدة متينة لمجهود تنموي شامل وتحديث الهياكل المجتمعيّة والمؤسّسية للدولة".

خاض الشيخ زايد معارك كثيرة، مستخدما "القوّة الناعمة" من أجل خدمة بلده وتوحيده أوّلا في ظروف إقليميّة أقلّ ما يمكن أن توصف به أنّها كانت صعبة ومعقّدة. خاض كل هذه المعارك كسياسي وإنسان أوّلا. لعلّ بين أفضل المداخلات في الندوة تلك التي تحدث فيها الدكتور زكي نسيبة الذي عمل مع الشيخ زايد كمترجم ومستشار ثقافي طوال أربعة عقود. في مداخلته الطويلة، التي تطرّق فيها إلى الجوانب المختلفة التي يمكن النظر من خلالها إلى شخصيّة الشيخ زايد، تطرق نسيبة إلى نقاط في غاية الأهمّية مركزا على إيمان الشيخ زايد بالتعليم والثقافة. تطرق أيضا إلى الشيخ زايد بصفة كونه ذلك الإنسان الذي يؤمن بـ"وحدة المصير بين كلّ الشعوب"، كما يؤمن بالتسامح ولا يفرّق بين إنسان وآخر. أشار إلى اعتماد هذا الزعيم السياسي الاستثنائي على "الصدق والصراحة" وعلى "الحكمة والاعتدال". كشف أنّه كان يقول لزعماء سياسيين التقاهم "صديقك من صدقك".

بين الذين شاركوا في الندوة أيضا، كان مبارك إبراهيم الناخي وكيل وزارة الثقافة والشباب في الإمارات. ألقى الناخي كلمة نورة الكعبي وزيرة الثقافة. كذلك، شارك علي راشد النعيمي عضو المجلس الوطني الاتحادي رئيس لجنة الدفاع الداخليّة والشؤون الخارجيّة في دولة الإمارات. ركّز النعيمي على دعم الإمارات للمغرب، خصوصا في ما يخص قضية الصحراء المغربيّة. ركّز أيضا على الشيخ زايد "التقدمي الحقيقي" في عالمنا العربي بعيدا عن المزايدات والمزايدين وحملة الشعارات الخاوية.

كانت هناك مداخلة لافتة للدكتور هيثم الزبيدي ناشر صحيفة "العرب" اللندنيّة ورئيس تحريرها الذي دخل في تفاصيل مرحلة ما قبل ولادة دولة الإمارات ودور الشيخ زايد في هذا المجال. اعتبر أنّه "رسميا بدأ الأمر بالبيان المشترك بين الشيخ زايد والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي في الثامن عشر من شباط – فبراير 1968. هذا بيان مشترك، لكنه ثمرة لتوجه الشيخ زايد نحو الوحدة مع شريك مؤمن". أضاف أنّه بدءا من الاسم، الإمارات المتصالحة، نفهم واقع المنطقة. كان استثمار أبوظبي المعنوي والمادي في الإمارات المتصالحة قد بدأ مبكرا، قبل أن تظهر بريطانيا نواياها بالانسحاب. الإيمان بالاتحاد كان حاضرا في فكر الشيخ زايد. كان يدرك أن نافذة تاريخية قد فتحت تتضافر فيها عوامل مختلفة.

ما هي تلك العوامل؟ أن فراغا سينشأ من الانسحاب البريطاني. وأن دولا كبرى أو متوسطة ستستغل الفرصة. وأن المنطقة في قلب صراعات إقليمية ودولية. وأن الدول العربية المهمة تصنف المنطقة على أساس أيديولوجي ولا تملك ما يكفي من الفهم لعمق التماسك القبلي في هذا الجزء من الخليج.

لسياسي بالمفهوم الكلاسيكي، تبدو كل العوامل مقلقة. لزعيم ذي رؤية، "هذه هي الفرصة".

في النهاية، إنّ الأرقام تتكلم عن نفسها وعن النجاح الإماراتي الذي وضع أسسه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي آمن بمشروع دولة الإمارات وحوله إلى واقع. من بين ما تقوله الأرقام إنّ اقتصاد الإمارات من بين أهم ثلاثين اقتصادا في العالم. تحوّلت الإمارات السبع إلى دولة حقيقية تنظر إلى المستقبل. تنظر، بفضل الأسس التي وضعها الشيخ زايد، إلى السنوات الخمسين المقبلة. هذه دولة متصالحة مع نفسها يعيش على أرضها أناس من مئتي جنسيّة مختلفة من دون تفرقة. هذه دولة تفكّر في مرحلة ما بعد النفط بدل البقاء في أسر الماضي وعقده.

في تحديات المخاض الأميركي

سمير التقي
باحث سياسي مختص
بقضايا الشرق الأوسط

دهش الكثيرون من الخبراء من الانسحاب الأميركي من أفغانستان، كما دهشوا من قبل حين عاقبت الولايات المتحدة ألمانيا بسبب أنبوب التيار الشمالي وحين انسحبت من اتفاقات سولت 2. سنحاول في ما يلي تقديم فهمنا، ولعله يكون مختلفا، للتحول الأميركي العاصف الذي لم يسبق له مثيل منذ الحرب العالمية الثانية وتمر به الولايات المتحدة. تتولى إدارة هذا الانعطاف المؤسسات الاستراتيجية المركزية. وفي حين يعتبر منصب الرئيس الأميركي بما يحدده من صلاحيات من أضعف مناصب الرؤساء التنفيذيين في العالم، تترك هذه المؤسسات لهذا المنصب دور الإخراج النهائي وشكل الأداء، ليفترق في نهاية الأمر أداء بيل كلينتون عن دونالد ترامب وعن جو بايدن، لكن السمت الاستراتيجي يبقى أو يفترض أن يبقى دون تغيير.

تفكك الولايات المتحدة الآن النظام العالمي الذي أسسته في بريتون وودز عام 1954. فبعد الحرب العالمية الثانية، خرجت ثماني عشرة دولة من الحرب في حالة خراب اقتصادي، في حين أن الدولة الوحيدة التي كانت قادرة على التعافي وإعادة إنهاض الاقتصاد الرأسمالي العالمي كانت الولايات المتحدة. في بريتون وودز عقدت الولايات المتحدة صفقتها التاريخية مع أكثر من خمس وأربعين دولة مناصرة لها في العالم. تضمنت هذه الصفقة تكريس الولايات المتحدة كحام وضامن لحرية التجارة العالمية، لتقوم الولايات المتحدة بفتح أسواقها، مقابل التزام هذه الدول: أولا بالدولار وثانيا بمعاداة الشيوعية. ومع الانهيار الطري والمدوي للاتحاد السوفييتي، كان لا بد من إعادة ترتيب الأولويات والتحالفات. فلماذا تقدم الولايات المتحدة على تهديم نظام أسسته هي بذاتها؟

لقد حصلت في العالم متغيرات حاسمة غيرت عناصر قوة الاقتصاد العالمي وغيرت بالتالي عناصر القوة المطلوبة بالنسبة إلى الولايات المتحدة. إذ تراجع موقع البضائع المادية والعمل العضلي كمصادر للثروة لصالح العمل الفكري والإبداعي وتقنيات المعلومات. كما تراجع موقع الدول المصدرة للخامات والبضائع لصالح الدول المستهلكة. اليوم تستهلك نيويورك سبعة أضعاف القارة الأفريقية ليصبح التنافس على الأسواق في الدول المتقدمة الأفق الوحيد للدول التي بنت اقتصادها على التصدير مثل ألمانيا وتركيا والصين بالطبع. لذلك يصبح موقع الدولار مرتبطا جوهريا بقدرة الولايات المتحدة على الاحتفاظ باستقلالها الاقتصادي من جهة وبقاء رخائها الاقتصادي كمستهلك رئيسي للمواد والخام والبضائع في العالم من جهة أخرى. من جهتها تحقق الولايات المتحدة نسبة لا يستهان بها من دورتها الاقتصادية ودخلها الوطني من خلال عولمتها المصغرة مع كل من المكسيك وكندا.

لكن ذلك لا يعني أن الولايات المتحدة يمكن أن تفكك أو تخرج من منظومة العولمة. فلئن كانت اتفاقيات بريتون وودز تقوم في جانب منها على مكافحة الشيوعية، تبقى هيمنة الدولار والعملات المرتبطة به مباشرة هي الأساس في رفاه الولايات المتحدة وعزها. القيمة الكونية للدولار مؤسسة على موقع الولايات المتحدة من حماية وإدارة منظومة التجارة العالمية.

في هذا الصدد يفقد الاحتلال البري بالنسبة إلى الولايات المتحدة أي مغزى طويل الأمد، ليقتصر دوره على الردع وضبط الصراعات. لذلك تستغني الولايات المتحدة عن التواجد الأرضي لتغادر البر وتترك حروب البر الإقليمي وتوازناتها لموازين القوى وتوازنات الصراع. فلطالما خسرت الولايات المتحدة حروبها البرية الصغيرة من فيتنام إلى الصومال إلى سوريا وأفغانستان، لا لسبب إلا لكونها تشتتيا لقدراتها وتركيزها على الصراع المركزي الرئيسي للهيمنة على المياه الزرقاء.

لا يعني ذلك أن الولايات المتحدة ستتخلى عن هيمنتها البرية. فهي تعتمد على تفويض منظومات دول أو دول إقليمية معينة بإدارة هذا الإقليم أو ذاك بما يحقق الأهداف الاستراتيجية المشتركة وبما يسمح بدرء محاولات الهيمنة للقوى المنافسة. يشبه الباحثون الاستراتيجيون نمط الهيمنة الذي يجري تكريسه الآن بنمط الهيمنة في الإمبراطورية الرومانية. إذ لم تكن هذه الإمبراطورية كإمبراطورية بحرية تؤسس علاقتها مع البلدان التابعة على جباية الضرائب، بل على مشاركة الدول التابعة لها في قواتها ضد الخصوم. أما الولايات المتحدة ذاتها فلها المياه الزرقاء، أو أنها ستحاول فرض ذلك بكل ما أوتيت من قوة. لكن في ظل التقدم التقني الراهن لا تبقى المياه الزرقاء للمحيطات وحدها هي فضاءات منظومة التجارة العالمية، بل صارت تشمل أيضا، الفضاء السيبراني والفضاء الخارجي. في هذه الفضاءات تعاني الولايات المتحدة صدمة السبوتنيك. ها هي تكتشف أنها أسرفت في ترف الاعتقاد باستفرادها كقطب كوني وحيد. فبعد ثلاثة عقود من التشتت الاستراتيجي ووهم الحرب على الإرهاب، يكتشف هذا الأرنب أنه كان نائما فيما كانت السلاحف تثابر على الركض.

والآن لا يمكن تفسير التضخم الفادح والصعود المنقطع النظير في تمويل العتاد الاستراتيجي الأحدث، وتمويل الأبحاث في ما لم تكن البشرية تحلم به قط من تقنيات للحرب إلا بذلك العزم المطلوب لتجاوز صدمة سبوتنيك الجديدة. فالولايات المتحدة ستعتبر عدوا استراتيجيا لها كل من يحاول منافستها في هذه الفضاءات. أما الهيمنة البرية فهي تقوم على منطق نهب الخيرات وليس منطق التجارة، وهذا ما أصبح مكلفا بحد ذاته بل ومضرا بمنطق التجارة وخطرا عليه.

لذلك سنرى في المستقبل الكثير من ملامح الانسحاب البري الأميركي، في أوروبا والشرق الأوسط. من هذا المنطق تجري مقاربة الأزمات الإقليمية في العالم وفي منطقتنا. لذلك لم يكن مفاجئا لبعض الخبراء في واشنطن، التفويضات الإقليمية الاستراتيجية لكل من بولونيا ورومانيا وتركيا وإسرائيل وتايوان والفلبين.. إلخ، كما لم يكن مفاجئا الانسحاب من أفغانستان.

في المستقبل، سنرى المزيد من الجهود لبناء التحالفات البحرية. وحتى الآن تمكنت الولايات المتحدة من بناء ست منظومات تحالف استراتيجي بحري حول سلسلة الجزر المحيطة ببحر الصين، وبنت منظومة استراتيجية بين البلطيق والبحر الأسود. وسنرى المزيد من هذه العمليات في الخليج وبحر العرب.

وسنرى بالمقابل جهدا أميركيا حثيثا لبناء منظومات إقليمية تقوم على توازن الخصومات وضبط النزاعات بهدف منع نفوذ الخصوم الاستراتيجيين الكبار للأقاليم الاستراتيجية. سنشهد الكثير من عمليات التفويض للقوى الإقليمية التي تتقاطع في جوانب معينة في مصالحها مع الولايات المتحدة لإدارة البر الإقليمي.

وسنرى تحالفات إقليمية جديدة لإدارة المياه الخضراء أي في المياه القريبة من الشواطئ. وذلك كما يفسر الحراك الجاري حول مضيق هرمز وحول باب المندب وبحر العرب والبحر الأحمر. في هذه المياه وليس في البر، لا تسامح أميركيا مع الاختراق الاستراتيجي للمنافسين الكبار.

لا ينحصر هذا الانعطاف في إعادة صياغة النظام الدولي، بل إنه سينعكس ولا شك في إعادة صياغة المنظومة الاستراتيجية ومنظومات الصراع في إقليمنا الشرق أوسطي الكبير.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk